Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كتابه . بيد أنه لم يتجاوز هذا الوصف المجمل ، ولم يقدم شيئا ذا بال يتعلق بها ، وقنع بصوغ عبارات فضفاضة لا تجدى نفعا ، كقوله مثلا : « فأما شأو نظم القرآن فليس له مثال يحتذى عليه ، ولا إمام يقتدى به ، ولا يصح وقوع مثله اتفاقا »(٨٨) ، وقوله : « ونظم القرآن جنس متميز ، وأسلوب متخصص ، وقبيل عن النظير متخلصٌ »(٨٩) ، وقوله : « فأما منهج القرآن ونظمه وتأليفه ورصفه فإن العقول تتيه فى جهته ، وتحار فى بحره ، وتضل دون وصفه »(٩٠) . وبذلك يتأكد حكمنا السابق من أنه لم يُضف إلى البحث البلاغى شيئا من خلال حديثه عن إعجاز القرآن .

ولم يكن القاضى عبدالجبار (ت ٤١٥ هـ) بأحسن حالا من الباقلانى فى الكلام عن النظم ، لكن قصوره فى هذه النقطة يقع فى الطرف الآخر ، وهو الغموض والاضطراب الناجمان عن سقوطه فى أسر المقولات العقلية الجافة ، وبُعده عن النص القرآنى موضوع الحديث ، فلا نلمح هنا أو هناك تحليلا لآية أو بعض آية ، وكل ما نراه أنه يروى عن شيخه أبى هاشم الجبائى – أحد أئمة المعتزلة – أن الكلام يكون فصيحا بأمرين : جزالة لفظه وحسن معناه ، وهو يقيم فاصلا بين الفصاحة والنظم ؛ فلا تتوقف فصاحة الكلام على أن يكون له نظم مخصوص ، لأن الخطيب قد يكون أفصح من الشاعر ، والنظم مختلف ، وقد يتحد النظم وتقع المزية فى الفصاحة . ويخلص من ذلك إلى القول بأنه لا يصح رد إعجاز القرآن إلى اختصاصه بطريقة فى النظم دون الفصاحة بمعناها السابق(٩١) .

ثم يعود القاضى عبدالجبار إلى الحديث عن معنى الفصاحة فيقول : « اعلم أن الفصاحة لا تظهر فى أفراد الكلام وإنما تظهر فى الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ، ولابد مع الضم أن يكون لكل كلمة صفة ، وقد يجوز فى هذه الصفة

---

(٨٨) إعجاز القرآن ص ١١٢ .

(٨٩) السابق ص ١٥٩ .

(٩٠) السابق ص ١٨٣ . وقد سبق أن أشرنا إلى أن الصور البلاغية التى ذكرها الباقلانى فى الفصل الذى عنوانه « فصل فى ذكر البديع من الكلام » لم يأت فيها بجديد ، وإنما نقلها عمن سبقوه ، كما أن أقسام البلاغة العشرة أخذها عن الرمانى مع قصوره فى نقلها . وهكذا لم يترك فى البحث البلاغى أثرا بذكر .

(٩١) القاضى عبدالجبار ، المغنى ، الجزء السادس عشر (تحقيق أمين الخولى) ص ١٩٧ – ١٩٨ .